أدوات التمكين في قصة ذو القرنين

The Means of Empowerment in the Story of Dhul-Qarnayn

I1. زهران عمرزهران، دكتوراة أصول دين، وزارة الأوقاف، فلسطين.

[2] سيف الله فيصل حسين العلي، طالب دكتوراه مقارنة أديان، وزارة التربية والتعليم، فلسطين

تاريخ الاستلام:2025/08/25 تاريخ القبول: 2025/09/07تاريخ النشر: 2025/11/13

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى استجلاء أدوات التمكين كما عرضتها قصة ذو القرنين في سورة الكهف، من خلال تتبع دقيق للآيات (83–98) وتحليلها في سياقها القرآني، وتوظيفها في بيان ركائز التمكين الحضاري كما يقدمها القرآن الكريم.

يهدف البحث إلى استثمار هذه القصة في ترشيد واقع الأمة الإسلامية المعاصر، وإعادة تفعيل دورها الريادي في بناء الحضارة.

وقد أظهر البحث أنّ التمكين في الأرض لا يتحقق عشوائيًا أو بوسائل القوة المجردة، بل يتطلب حزمة من الأدوات المتكاملة التي جسدها ذو القرنين في قيادته، وأهمها: الأخذ بالأسباب، وإقامة العدل، واستثمار الموارد البشرية والطبيعية، والاعتماد على العلم، وتقديم المعونة، والعمل، كل ذلك مبني على ركيزة الإيمان بالله تعالى.

وتُبرز الآيات جوانب معرفية شتى تمتع بها ذو القرنين، كالتمكن الجغرافي، والفهم السياسي، والعلوم الهندسية، والتواصل الحضاري، مما يعكس قيادة شمولية جامعة بين الكفاءة الإدارية والتقوى الإيمانية، وكما أكدت القصة على أن الصفات الشخصية للقائد—كالتواضع، والحكمة، والشفافية، والنزاهة التي هي من أهم أركان استمرار التمكين واستحقاق التأييد الإلهي.

ويبرز البحث الجانب الجيوسياسي من خلال دراسة السدّ الذي بناه ذو القرنين، كتحصين دفاعي يعكس فهمًا متقدمًا للأمن القومي، ويُعدّ سابقة قرآنية لمفهوم "التحصينات الإقليمية" الحديثة.

وخلص البحث إلى أن قصة ذي القرنين تمثل نموذجًا تطبيقيًا متكاملاً للتمكين القرآني، يمكن أن يُعاد توظيفه في نهضة الأمة، شريطة الجمع بين الإيمان، والعلم، والعمل.

الكلمات الدالة: التمكين، قصة ذو القرنين، سورة الكهف

Abstract:

This research aims to explore the tools of empowerment as presented in the story of Dhul-Qarnayn in Surah Al-Kahf (verses 83–98), through a precise and contextual analysis of the Quranic narrative. It seeks to utilize this account as a framework for guiding the contemporary Muslim Ummah towards reclaiming its civilizational leadership and correcting its course.

The study reveals that true empowerment on earth is not achieved randomly or through brute force, but rather through a comprehensive set of principles embodied by Dhul-Qarnayn, namely: adherence to causes (asbāb), justice, investment in human and natural resources, scientific knowledge, offering assistance, active labor, and sincere reliance upon God.

The verses highlight various domains of knowledge possessed by Dhul-Qarnayn, including geographic mastery, political wisdom, engineering sciences, and intercultural communication—showcasing a holistic leadership model that integrates administrative competence with deep faith and moral integrity. The story also emphasizes that the personal attributes of the leader—such as humility, wisdom, transparency, and integrity—are essential for sustained empowerment and divine support.

The research further examines the geopolitical dimension through the analysis of the barrier built by Dhul-Qarnayn as a form of defensive infrastructure, reflecting a profound understanding of regional security—an early Quranic precedent of modern border fortification concepts.

The study concludes that the story of Dhul-Qarnayn offers a comprehensive, Quranically grounded model of empowerment, whose principles can be reactivated to rebuild the Ummah's strength—provided there is a fusion of faith, action, knowledge, and a commitment to justice and constructive civilizational engagement.

Keywords : Empowerment, The Story of Dhul-Qarnayn, Surah Al-Kahf

مقدمة

إنّ القرآن الكريم، كتاب الله تعالى الذي تحدى به الأمم، وبهر به الألباب، وسلب العقول والأبصار، وإنّ المتأمل لروعة نظمه وبيانه وبلاغته، يجدها براهين ناطقة على أنّها دعوة حقّ وصدق، وأينما نظرت في القرآن الكريم تجد هذه الروعة حاضرة بكل قوة، فكل حرف يعشق الكلمة التي وضع فيها, وكل كلمة تعشق الآية التي وضعت فيها، وكل آية تعشق السورة التي وضعت فيها وكل سورة تعشق الموضع الذي وضعت فيها لنخرج بأنّ القرآن الكريم محكم بليغ بسبكه وحبكه.

وفي هذا البحث نعرض للحديث عن بضع آيات من سورة الكهف تقارب صفحة واحدة لكن فيها من الدروس والعبر الشيء الكثير، ففيها بيان بكلمات جامعة مانعة لأسباب تمكين الله تعالى لذي القرنين من خلال الآيات القرآنية التي تحدثت عنه في سورة الكهف.

مشكلة الدراسة

أردنا من خلال هذه الصفحات أن أجيب عن الأسئلة الآتية:

ما هي الأدوات التي عرضتها قصة ذي القرنين في سورة الكهف وكانت سببًا في تمكينه؟

كيف عالج القرآن الكريم مفهوم التمكين من خلال شخصية ذي القرنين؟

ما أثر الصفات الشخصية القيادية في دعم التمكين؟

•ما الأبعاد الجغرافية والجيواستراتيجية التي انطوت عليها قصة ذي القرنين؟

أهداف الدراسة

•إبراز أدوات التمكين التي اعتمدها ذو القرنين كما وردت في القرآن الكريم.

•تحليل الصفات القيادية لذي القرنين ودورها في تحقيق التمكين.

•استنباط الدروس الحضارية من قصة ذي القرنين وربطها بواقع الأمة.

•توضيح الأبعاد الجغرافية والسياسية في القصة وربطها بمفاهيم الجغرافيا السياسية المعاصرة.

اعتمدنا في هذا البحث المنهج **الاستقرائي**، وذلك من خلال تتبع آيات قصة ذي القرنين في سورة الكهف، واستقراء ألفاظها ومعانيها في كتب التفسير، واعتمدتُ أيضا المنهج **الاستنباطي** في استخراج المعاني والدروس لمتعلقة بالتمكين، والصفات القيادية، والقراءة الجغرافية والسياسية للقصة.

وفي سبيل تحقيق الأهداف المرجوة، جعلنا الدراسة في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، على النحو الآتي:

المبحث الأول التعريف بسورة الكهف ومقاصدها وسبب ورود قصة ذي القرنين فيها.
المبحث الثاني: أدوات التمكين في قصة ذي القرنين، مثل الأخذ بالأسباب، والعدل، واستثمار الموارد والطاقات.
المبحث الثالث :الصفات الشخصية القيادية لذي القرنين وأثرها في التمكين، كالعدل، والحكمة، والتواضع، والشفافية.
المبحث الرابع :البنية الجغرافية والجيواستراتيجية للتمكين كما ظهرت في تنقلات ذي القرنين وبنائه للسد.

المبحث الأول :التعريف بسورة الكهف

نعرض للحديث عن سورة الكهف في المطالب الآتية:

المطلب الأول: سبب نزول السورة

سورة الكهف سورة مكية[1]، وقد ذكر أهل التفسير[2] منهم الإمام الطبري[3] أثراً في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "بعثت قريش النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأول،

---

[1] . ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**. تحقيق: محمد النمر. طبعة:4، سنة: 1417هـ. دار طيبة. (141/15).

[2] . ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. طبعة: 2، سنة: 1420هـ. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. (5/ 136) ، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر. (357/5).

[3] . الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**. تحقيق: أحمد شاكر. طبعة:1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة. (593/17).

وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء عليهم السلام، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنّكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال، فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، وسلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنّهم قد كان لهم شأن عجيب، وسلوه **عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه**؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فهو نبي فاتبعوه... فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم غدا عما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة، ... ثم جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ** [الكهف: 83]، وإلى آخر الآيات".

المطلب الثاني: فضائل السورة

وردت جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة في بيان فضل قراءة سورة الكهف وحفظها، نعرض في هذا المطلب جملة من هذه الأحاديث التي تُجلي لنا فضل السورة وبركتها، وهي:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم, قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال"[4].
- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال"[5].

[4] . ابن حنبل، أحمد الشيباني. مسند أحمد. (ح: 27580)، (بقية حديث أبي الدرداء رضي الله عنه). (449/6). قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[5] . المصدر السابق. (ح: 27556). (446/6). قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

- عن البراء رضي الله عنه، قال: "قرأ رجل سورة الكهف وله دابة مربوطة فجعلت الدابة تنفر فنظر الرجل إلى سحابة قد غشيته أو ضبابة، ففزع فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلت سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل، قال: نعم، فقال: اقرأ فلان فإنّ السكينة نزلت للقرآن أو عند القرآن"[6].
- عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين"[7].

المطلب الثالث: تسمية السورة

نُقل لسورة الكهف الأسماء الآتية:

- سورة الكهف: وهذا الاسم هو المشهور لها، والمثبت في المصاحف، والذي جاءت به كتب السنّة، ولعل هذا الاسم أُخذ من قصة أصحاب الكهف الواردة في السورة، والتي لم ترد إلا فيها.
- سورة أصحاب الكهف: هذا الاسم نقل في بعض الآثار، "وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف"[8]، ولعل السبب في هذا الاسم النسبة للفتية –أصحاب الكهف-.

المطلب الرابع: مناسبات السورة

مناسبة أول سورة الكهف مع آخر سورة الاسراء

لما ختمت تلك بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق ، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات النقص لكونه أعلم منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين "[9].

---

[6] . المصدر السابق. (ح: 18532). (حديث البراء بن عازب رضي الله عنه). (284/4). قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[7] . الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. **سنن الدارمي**. تحقيق: فواز أحمد وآخرون. طبعة:1، سنة: 1407هـ. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ح: 3407). (كتاب فضائل القرآن). (باب في فضل سورة الكهف). (546/2). قال حسين سليم: إسناده صحيح إلى أبي سعيد موقوفا.

[8] . الحاكم، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر. طبعة:1، سنة: 1411هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (580/4). قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

مناسبة آخر سورة الكهف مع أول سورة مريم

وللبقاعي لمحة بديعة في مدى التناسب بين السورتين فيقول في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»: «ولما كانت هذه السورة –مريم- تالية للسورة الواصفة للكتاب –الكهف - بالاستقامة البالغة، افتتحها بالأحرف المقطعة، كما افتتح السورة التي تلي أمّ الكتاب، الداعيةَ إلى الصراط المستقيم، الواصفةَ الكتابَ بالهدى الضامن للاستقامة»[10] ثمّ يكمل بعد صفحات عديدة :ولما كان على اليهود الآمرين بالسؤال تعنتا عن قصتي أصحاب الكهف وذي القرنين أن ينصحوا العرب بالإعلام بأنّ دينهم باطل ، فلم يفعلوا فكانوا جديرين بالتبكيت، وكانت قصة زكريا أعظم في تبكيتهم بمباشرتهم لقتله وقتل ولده يحيى عليهما الصلاة والسلام، قدمها في الذكر، وتوطئة لأمر عيسى عليه الصلاة والسلام إلزاماً لهم بالاعتراف به.

ويوجه محمد الأمين صاحب كتاب «تفسير حدائق الروح والريحان» القلوب إلى معنى آخر رابطا ختام سورة الكهف ببداية سورة مريم فيقول»، وأما مناسبة أول هذه السورة لآخر السابقة، فلأنه سبحانه ذكر في آخر السابقة الرحمة في ضمن قوله: "{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}؛ أي: يرجو رحمة ربه وثوابه يوم لقائه وعرضه عليه للمجازاة، وبدأ هذه السورة بقوله: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ} فذكر الرحمة هنا صريحًا"[11].

المطلب الخامس: مقاصد السورة

- ترسيخ ثبات العقيدة في مواجهة الفتن[12]: تستهل السورة بقصة أصحاب الكهف دلالةً على الصمود والإعراض عن دعوات الشرك، وإظهار قوة التوكل على الله عند التعرض للابتلاء.

---

[9] . البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية . (4441).

[10] البقاعي. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** (12/ 166)

[11] الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. **تفسير حدائق الروح والريحان في رو ابي علوم القرآن.** إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي. طبعة: 1، سنة: 1421هـ بيروت: دار طوق النجاة. (17/ 83)

[12] ينظر: القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.** تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال. طبعة: 1، سنة: 1417هـ دمشق – بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. (2/ 440)

- بيان سنن الله في النشأة والبعث: عبر قصص أصحاب الكهف وموسى والخضر عليهما السلام وذي القرنين، تُعرض سنن الخلق والجزاء، فتُعلم أن الحياة ليست مجرد نشأة وإنما مقدمة لبعث جديد[13]

- الدروس العملية في العلم والعمل: قصة موسى والخضر عليهما السلام تبرز أهمية التواضع في طلب العلم، ووجوب الصبر على حكم الله، وأن وراء كل حادثة حكمة بالغة لا يدركها ظاهرُ العباد[14].

- تفسير مفهوم العدل الإلهي وحكم ذي القرنين: قصة ذي القرنين تبيّن أنّ القوة في تطبيق العدل لا مرادف لها إلا حماية الضعفاء وذوي الحاجات، وتأسيس قواعد الشورى والإنصاف، والحكم والسلطة ينبغي أن يسخر لتنفيذ شرع الله تعالى في الأرض وإقامة العدل بين عباده[15].

- التحذير من الفتن الكبرى وأولها فتنة الدجال: تعرض السورة لعلامات الساعة تحذيراً للعباد من الانحراف بعد قوة الإيمان، وأولها آزمّة المسيح الدجال، فتكون بمثابة وقاية للمؤمن من الغواية[16].

- الأمر بذكر الله والتوكل عليه: توجيه صريح لذكر الله تعالى والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وتأكيدُ أن التوكل على الله تعالى وحده هو سبيل الأمان من الضلال والشكّ[17].

- التحذير من فتنة المال وزينة الدنيا، والدعوة إلى الإنفاق والتزود من الباقيات الصالحات: [تُبرز سورة الكهف موقفًا تربويًا عميقًا من زينة الحياة الدنيا، فتبدأ بالتنبيه على أن ما على الأرض كلّه زينة موقوتة، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]، وتختم بالتحذير من الانشغال بالمال والبنين، وبيان أن الباقيات الصالحات هي الأبقى والأرجى عند الله:

---

[13] ينظر: يحيى بن سلام. **تفسير يحيى بن سلام**. تحقيق: هند شلبي. طبعة: 1، سنة: 1425هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (1/ 176)

[14] ينظر: جامعة المدينة العالمية. **التفسير الموضوعي 2**. طبعة جامعية، سنة: قبل 1433هـ. الناشر: جامعة المدينة العالمية. (ص260)

[15] ينظر: مسلم، مصطفى. **مباحث في التفسير الموضوعي**. طبعة: 4، سنة: 1426هـ. دمشق: دار القلم. (ص322)

[16] ينظر: الوابل، يوسف بن عبد الله. **أشراط الساعة**. طبعة: 3، سنة: 1411هـ. الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. (ص328)

[17] ينظر: الكرجي القصاب، محمد بن علي. **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**. تحقيق: علي بن غازي التويجري وآخرون. طبعة: 1، سنة: 1424هـ. الدمام – القاهرة: دار ابن القيم، دار ابن عفان. (2/ 185)

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

ثم جاءت قصة صاحب الجنتين كمثل حيّ لفتنة الغنى والكبر، وكيف كان جزاؤه حين اغتر بماله ولم يشكر ربه، فقد كل ما يملك، في مقابل الفقير المؤمن الذي كان أكثر وعيًا بحقيقة النعمة ولزوم شكرها ومصير الدنيا. وتأتي هذه المعاني متسقة مع ما جاء في الكتاب الكريم من بيان حكمة توزيع المال وعدالة إنفاقه، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: 7]، لتقرير مبدأ العدالة الاجتماعية، والحثّ على الإنفاق المشروع الذي يمنع احتكار الثروات، وهو ما يُعرف اليوم بمقاومة الرأسمالية المتوحشة[18].

المبحث الثاني :أسباب تميكن الله لذي القرنين

تناولت الآيات من (83- 98) قصة ذو القرنين والمتأمل للآيات يجد أنّها عرضت لجملة من الأسباب التي تؤهل الأفراد والجماعات والأمم للتمكين إن أخذوا بها، وهي على النحو الاتي:

المطلب الأول: الأخذ بالأسباب:

إنّ الذي ينشد المستقبل المشرق لا بد له من الأخذ بالأسباب، وإنّ الأخذ بالأسباب عبادة يثاب عليها الإنسان ولكنّه مع أخذه بها لا يعتمد عليها بل يعتمد على الله تعالى في أن يصل بوساطة هذه الأسباب إلى الأمر المطلوب. وإنّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أنّه مؤيد بالوحي لكنّه كان يأخذ بالأسباب ويدعو إلى الأخذ بها إلى من ينشد التغيير والوصول إلى التمكين، فقد قاوم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، وحذر من الكسل والخمول. وإنّ الدعوة للأخذ بالأسباب ظاهرة في القرآن الكريم عموماً، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[19] يقول ابن عاشور: "والإعداد: التهيئة والإحضار"[20] يقول ابن كثير: "أمر تعالى بإعداد آلات

---

[18] رضا، محمد رشيد. **الوحي المحمدي**. طبعة: 1، سنة: 1426هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (ص210)

[19] . سورة الأنفال: اية 60.

[20] . ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، سنة: 1404هـ (259/6).

الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة"[21] ففي الآية أمر من الله تعالى ودعوة لعباده إلى الأخذ بالأسباب، ونهي لهم عن القعود والركون. وإنّ الأمر بالأخذ بالأسباب كان ظاهراً في قصة ذو القرنين كعنصر من عناصر التمكين دل على ذلك الآيات الآتية:

- قال الله تعالى: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا* **فَأَتْبَعَ سَبَبًا*** حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا* **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا*** حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا* **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا**"[22].

"أي: أعطيناه أسباباً يصل بها إلى ما يريد، فما من شيء يريده إلا ويجعل الله له وسيلة مُوصِّلة إليه، فماذا صنع هو؟ "فَأَتْبَعَ سَبَبا" اتبع السبب، أي: لا يذهب لغاية إلا بالوسيلة التي جعلها الله له، فلقد مكَّن الحق لذي القرنين في الأرض، وأعطاه من كل شيء سبباً، ومع ذلك لم يركن ذو القرنين إلى ما أُعطى، فلم يتقاعس، ولم يكسل، بل أخذ من عطاء الله له بشيء من كل سببً"[23]. ويقول السعدي: فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل المطلوب[24]، وأما تكرار لفظ اتباع الأسباب في أكثر موضع في هذه الآيات، فيه إفادة وهي إشارة إلى: سنة الله في تكامل الأشياء فمن صنع إبرة وتابع الأسباب التي توصل بها إلى صنع الإبرة فإنه يصنع ما بعدها[25].

---

[21]. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. (80/4).

[22]. سورة الكهف: آيات 84-92.

[23]. ينظر: الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي (الخواطر)**. مطابع أخبار اليوم، 1418هـ (1997م). (ص2208).

[24]. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن معلا. طبعة:1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة. (485/1).

[25]. ينظر: الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. طبعة:5، سنة: 1424هـ. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. (282/3).

قد يتبادر إلى الذهن تساؤل، وهو: لماذا لم يحدد الأسباب، وتركها مطلقة؟ لعل في ذلك إشارة إلى أنّ الانسان مطالب بالأخذ بكل الأسباب التي توصله إلى المنشود من علم وآلة وقدرة وغير ذلك ما لم يكن هذا السبب محرما مجرماً[26].

المطلب الثاني: العدل

معنى العدل: في اللغة: "ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور "[27]، ومعناه في الاصطلاح لم يبتعد كثيرا فهو: "الميل إلى الحق"[28]، إنّ المتأمل لشريعة الاسلام، يجد أنّ العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الاسلام وشدد على ضرورة الالتزام بها، وجعلها من مقومات الحياة الأساسية في كل المجالات، والمواقع، وبين أن تحقيقها من أهداف الرسل والرسالات، يقول الله تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ"[29] يقول ابن عاشور في سر جمع لفظ الرسل: " وجمع (الرسل) هنا لإفادة أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل"[30] ويقول الطبري: "لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ": ليعمل الناس بالعدل"[31]، ولقد سطر شيخ الاسلام ابن تيمية كلاما جميلا عن فضل العدل، وبين أنّ له ارتباطا وثيقا بالتمكين، في قوله: إنّ الله تعالى يمكن للدولة العادلة وإن كانت كافرة, ولا يمحق الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة[32]، وهذا السبب من أسباب التمكين لذي القرنين ظاهر في قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا* قَالَ أَمَّا **مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ** ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ

---

[26] . ينظر: ابن عادل، عمر بن علي. **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: أحمد عادل عبد الموجود واخرون. طبعة: 1، سنة: 1419هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (556/12).

[27] . ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. طبعة:1. بيروت: دار صادر. (430/11).

[28] . الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. طبعة:1، سنة: 1405هـ. بيروت: دار الكتاب العربي. (192/1).

[29] . سورة الحديد: آية 25.

[30] . ابن عاشور، **التحريروالتنوير**. (495/14).

[31] . الطبري. **جامع البيان**. (201/23).

[32] . ينظر: ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. **مجموع الفتاوى**. تحقيق: أنور باز وآخرون. طبعة:3، سنة: 1423هـ. دار الوفاء. (63/28).

فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا"[33]، "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ" أي: سلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض[34]، يقول السعدي: "كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما"[35]، " وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا" يقول ابن عاشور: "وتنكير "قوما" يؤذن بأنهم أمة غير معروفة ولا مألوفة حالة عقائدهم وسيرتهم، فجملة "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ" استئناف بياني لما أشعر به تنكير "قوما" من إثارة سؤال عن حالهم وعما لاقاه بهم ذو القرنين"[36]، "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" "قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ" يقول ابن عاشور: "اجتلاب حرف الاستقبال: "فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ" يشير إلى أنه سيدعوه إلى الإيمان بالله تعالى فإن أصر على كفره يعذبه، وقد صرح بهذا المفهوم في قوله: "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً" أي آمن بعد كفره"[37]، وفي استخدام لفظ المبالغة "حسنا" دفع للقوم لاختيار الإيمان والعمل الصالح[38]، "وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" ""يسراً" الكلام الحسن، ووصفه باليسر المعنوي لكونه لا يثقل سماعه[39] ويعقب الشعراوي على هذه الآية بما يدل على أن العدل من أسس التمكين: وهكذا التمكين لا يكون إلا بإقامة ميزان العدالة، فلا يُفوِّض إنسان في أنْ يُعذِّب أو أن يتخذ الحسنى إلا إذا كانت لديه مقاييس وميزان العدالة[40].

المطلب الثالث: التزود بالخبرات والعلوم:

إن المتتبع للآيات التي دعت للعلم والمعرفة يجد أنّ المقصود منها في القرآن الكريم، علوم الدنيا وعلوم الدين، ومنها، قوله تعالى: "هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ

---

[33]. سورة الكهف: آيات 86-88.

[34]. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. طبعة:2، سنة: 1420هـ. دار طيبة. (191/5).

[35]. السعدي، **تفسير السعدي**. (485/1).

[36]. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (128/15).

[37]. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (128/15).

[38]. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (128/15).

[39]. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (128/15).

[40]. ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. (ص 3422).

السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[41]، وقوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ"[42]، فالإسلام في كثير من المواضع حث المسلمين على طلب العلوم المختلفة علوم الطب والفيزياء والكيمياء والهندسة، وغيرها من العلوم، فهذه العلوم النافعة وغيرها سبب في ازدهار الحضارات وعلو شأن الأمم، ومما برز في سورة الكهف، ويشير إلى أن العلوم كانت سببا من أسباب التمكين لذي القرنين:

- تعلم لغات الآخرين: وهذا السبب من أسباب التمكين ظاهر في قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا"[43]، "بين السدين"، أي: بين سدين معينين معروفين[44]، ذكر ابن كثير أنّ من الأسباب التي ملكها ذو القرنين، "تعليم الألسنة، كان لا يغزو قومًا إلا كلمهم بلسانهم"[45]، وهذا "شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليترجموا لهم لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم[46]، فلا يستطيع أن يفهمهم إلا بلسانهم[47].

- الأمور الهندسية: فإذا سألنا كيف بنى ذو القرنين هذا السد من الحديد والنحاس؟ هذا البناء الذي بناه يشبه ما يفعله الآن المهندسون في المعمار بالحديد والخرسانة؛ لكنه استخدم الحديد، وسَدَّ ما بينه من فجوات بالنحاس ليكون أكثر صلابة وقوة، فلا يتمكن الأعداء من خَرْقه، وليكون أملسَ ناعماً فلا يتسلقونه، ويعلُون عليه[48].

المطلب الرابع: تقديم المعونة للآخرين:

إن تقديم المعونة للآخرين من أعظم أبواب الخير، وله مكانة عالية في الاسلام، حتى لو كان المنتفع من الحيوانات، والآيات والأحاديث التي دعت إلى الاحسان كثيرة، ومنها قوله تعالى: "وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ

---

41. سورة يونس: آية 5.
42. سورة الروم: آية 22.
43. سورة الكهف: آية 93.
44. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (131/15).
45. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. (190/5).
46. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (131/15).
47. ينظر: الطبري، **جامع البيان**. (103/18).
48. الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. (ص 2220)

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[49]، ومن السنة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[50]، وهذا السبب من أسباب التمكين ظاهر في قوله تعالى: "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا"[51]، "يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ" "وافتتاحهم الكلام بالنداء، أي: أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين[52]، طلبوا منه أن يجعل بينهم وبين المفسدين سدا، وهذه المعونة بمقابل "الخَرْج" " فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا" طلب القوم من ذي القرنين أن يقدم لهم المعونة حتى لا يصل إلينا المفسدون من قوم يأجوج ومأجوج ونعطيك أجرا ونجمع لك مالا مقابل ذلك، فرد عليهم ردا عظيما أنه سيقدم لهم الخير من غير مقابل لأن ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي[53]، يلاحظ من الآية أمرا مهما، هو أن القوم في تصرفهم هذا يكرسوا صورة تعبر عما يحياه المسلمون في هذا الزمن، يلمح هذا من خلال النظر في قوله، "نجعل لك خرجا" أنهم لا يصنعون، ولا يعملون، ولكنهم يدفعوا الأموال مقابل الحصول على ما يحتاجون إليه! وهذا مطابق لحال السواد الأعظم من المسلمين في هذا الزمان فقد غلب على الأمة التواكل والاعتماد على الغير في الحصول على الحاجات، حتى أنهم استوردوا الطعام والشراب، واللباس، والمركوبات، والسلاح وغير ذلك من غيرهم، فأراد أن يعلمهم ذو القرنين درسا وأن ينقلهم من أمة مستهلكة لا تزرع، ولا تصنع، متواكلة إلى أمة عاملة مجتهدة متوكلة، فلم يقبل منهم المال، واستنهض قوتهم، للعمل والانجاز، وهذا أصل كبير نحتاج إليه في هذا الزمان؛ لأن الاعتماد على الآخرين في الحاجات يعطل كثيرا من الأمور لعل من أبرزها القدرة على اتخاذ القرار، فلن تكون كلمتنا من رأسنا، حتى تكون لقمتنا من فأسنا، يقول الشعراوي: "وهذا يدلنا على أن القوي يجب أن يعين الضعيف معونة لا تحوجه له مرة أخرى؛ لذلك يقال: لا تعط الجائع سمكة؛ ولكن علمه أن يصطاد السمك ليعتمد على نفسه بعد ذلك، وهذه هي المعونة الصحيحة، ولذلك نجد أن ذا القرنين رفض أن يأخذ مقابلا لبناء

---

[49] . سورة المائدة: آية 93.

[50] . مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري. **صحيح مسلم**. (ح:2699). (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار). (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن). (2074/4).

[51] . سورة الكهف: آيات 94-95.

[52] . ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (132/15).

[53] . ينظر: ابن جزي، محمد بن أحمد. **التسهيل لعلوم التنزيل**. تحقيق: عبد الله الخالدي. طبعة: 1، سنة: 1416هـ. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم. (151/2).

الردم؛ وقول الحق سبحانه وتعالى على لسان ذي القرنين: "أعينوني" يعطينا كيفية إدارة العدل في الكون، فذلك الذي أعطاه الله تعالى الأسباب ومكن له إن أراد أن يعين الضعفاء فعليه أن يشركهم معه في العمل، ولا يعمل هو وهم يتفرجون وإلاَّ فإنه يعودهم بذلك على الكسل والخمول فتفسد همتهم، ولكن إذا جعلهم يعملون معه فسيتعلمون العمل ثمّ يتقنونه فتزداد مهارتهم وقوتهم في مواجهة الحياة[54].

المطلب الخامس: استثمار القوة البشرية:

إن الناس يملكون من الطاقات الكامنة والمواهب الشيء الكثير، ولا بد من البحث عن طرق لاستثمار هذه الكوامن والطاقات وتوظيفها بما يعود على الفرد والجماعة بالخير في الدنيا والاخرة، وإن النبي عليه الصلاة والسلام ضرب لنا مثلا رائعا يحتذى به في هذا الباب، فقد استنهض الطاقات كل بما يتناسب معه، فهذا استنهض طاقته في العلم، وذاك في الدعوة، وذاك في الفقه، وذاك في القضاء، وذاك في الجهاد، ومن الأدلة النبوية على ذلك، أن النبي عليه الصلاة والسلام لما رآى في زيد رضي الله عنه قوة في الحفظ أمره أن يتعلم لغة اليهود، وأن يتعلم السريانية، وأنه لما شرع الأذان استثمر طاقة بلال رضي الله عنه لأنه الأندى صوتا، واستثمر طاقة خالد رضي الله عنه في الجهاد، استثمر طاقة أسامة رضي الله عنه في القيادة وأمره على جيش وهو صغير، فالقائد الفطن هو الذي يتنبه لمثل هذا، وقد فعل ذلك ذو القرنين، وهذا ظاهر في قوله تعالى: "**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**[55] "فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ". يقول ابن عاشور: "أي بقوّة الأبدان"[56] "ولما كان ذو القرنين ممكّناً في الأرض، وفي يده الكثير من الخيرات والأموال، فهو في حاجة لا إلى مال بل إلى الطاقة البشرية العاملة، فقال: "فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ" أي: قوة وطاقة بشرية قوية مخلصة"[57]، فأراد أن يعينوه برجال، وقيل: برجال وآلات، أجعل بينكم وبينهم حاجزا حصينا "ردما" وهو أكبر من السد[58]، ويشير الشعراوي هنا إلى لطيفة، وهي: أن الله سبحانه وتعالى لفتنا هنا إلى حقيقة علمية مهمة لم نعرفها إلا في عصرنا الحديث، فالسد إذا كان كله من مادة صلبة؛ يتعرض للانهيار إذا جاءت هزة أثرت في كل جوانبه، أما إن كان هناك جزء من بنائه صلب على الحافة، وجزء صغير في

. الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. ص 1226. [54]

. سورة الكهف: آية 95. [55]

. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (7/9). [56]

. الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. ص 2219. [57]

. ينظر: البيضاوي، **تفسير البيضاوي**. بيروت: دار الفكر. (523/3). [58]

المنتصف وجزء ثالث، ثم رابع، ويفصل بين كُلٍّ جزء وجزء ردم من تراب فيه تنفيسات بحيث يمتص الصدمة والهزة[59].

المطلب السادس: استثمار الموارد الطبيعية:

إنّ الأمم تملك من الخيرات الشيء الكثير، ولا بد لها أن تستثمرها فيما يعود عليها بالنفع، والدعوة إلى استثمار الموارد الطبيعية، ظاهر في قوله تعالى: "**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ** حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا"[60]، يقول ابن عجيبة: استعان بهم في الذي احتاج إليه منهم كزبر الحديد[61] يقول ابن عاشور: والزُبَر: القطع الكبيرة من الحديد، والحديد: معدن من معادن الأرض يكون قِطعاً كالحَصَى فيها صلابة[62]، حتى إذا ساوى بين الصدفين، أي: الجبلين، بما جعل بينهما حتى وارى رؤوسهما وسوّى بينهما[63]، فنرى أن هناك مجموعة من الموارد الطبيعية التي أمرهم ذو القرنين أن يحضروها ليستعملوها في إقامة السد، وهي كما ذكر الزمخشري في الكشاف: زبر الحديد، والحطب، والفحم، والمنافيخ، والنحاس المذاب[64].

المطلب السابع: الدعوة إلى العمل:

إن الشريعة الاسلامية، حثت على العمل، وأمرت الإنسان بعمارة الأرض، والأكل من كسبه، ولعل من المشاهد العظيمة في السنة النبوية التي تدل على ذلك، قول النبي عليه الصلاة والسلام: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فَسيلة، فإن استطاع ألَّا يقوم حتى يغرسها، فليفعل"[65]، فقد يتبادر إلى الذهن

---

[59] . الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. (ص1226).

[60] . سورة الكهف: آية 96.

[61] . ينظر: ابن عجيبة، أحمد بن محمد المهدي. **البحر المديد**. طبعة:2، سنة: 1423هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (283/4).

[62] . ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (8/9).

[63] . ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. **النكت والعيون**. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية. (343/3).

[64] . ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، وآخرون. طبعة: 3، سنة: 1407هـ. القاهرة – بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي. (697/2).

[65] . ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد**. القاهرة: مؤسسة قرطبة. (ح:13004). (مسند أنس بن مالك). (191/3). قال الأرنؤوط: "صحيح على شرط مسلم".

تساؤل، لماذا يغرسها؟ ومن سيستفيد من غرسه، وقد قامت الساعة؟ إنه الحث على العمل وشدة التحريض عليه، وإن هذا السبب في قصة ذي القرنين ظاهر في قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ **قَالَ انْفُخُوا** حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا"[66]، لم يكتف ذو القرنين بأن طلب منهم أن يعملوا على نقل قطع الحديد، بل أشركهم في صلب المهمة، قال تعالى: "حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا" بعد وضع الحديد، طلب منهم أن ينفخوا في ناره، ثم أفرغ عليه قطراً، أي: نحاسا، وقيل: رصاصا مذابا[67]، فأثمرت هذه الجهود وهذا الاستثمار للموارد الأمن له والحماية من فساد يأجوج ومأجوج، يقول ابن عاشور عن هذه الآية أنها بينت عجز قوم يأجوج ومأجوج من الوصول إليهم: "و "اسطاعوا" تخفيف "استطاعوا" ، والجمع بينهما تفنن في الكلام كراهية إعادة الكلمة، وابتدئ بالأخف منهما لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى[68].

المطلب الثامن: الايمان بالله تعالى:

أراد ذو القرنين بعد أن أظهر لهم صورة عملية مشرقة، أن يدعوهم إلى الله تعالى، وأن يعلمهم أن هذا الذي رأوه من قوة وتمكين، وإبداع إنما هو بتوفيق الله تعالى، وهذا ظاهر في قوله تعالى: "قَالَ **هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي** فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا"[69] يقول ابن عاشور: " لأنه لما آذن الكلام بانتهاء حكاية وصف الردم كان ذلك مثيراً سؤال من يسأل: ماذا صدر من ذي القرنين حين أتم هذا العمل العظيم؟ فيجاب بجملة: "قال هذا رحمة من ربي"[70]، بين لهم أن قدرته على فعل ما فعل، إنما هي رحمة الله تعالى[71]، ، ومما يحضر في الذهن، أنّ ذو القرنين دعاهم إلى الله تعالى في بداية الأمر بفعله، ومعونته، وخدمته لهم، ثم بين لهم أنّ هذا الخير والتمكين والتوفيق بيد الله، ومن رحمته وفضله، وهذا أدعى لقبول الدعوة، فلا يكتفى بالقول باللسان ثم يخالف المرء ما دعا إليه.

. سورة الكهف: آية 96. [66]

. ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (343/3). [67]

. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (136/15). [68]

. سورة الكهف: آية 98. [69]

. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. (9/9). [70]

. ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**. (344/3). [71]

ملخص أنواع المعرفة لدي ذو القرنين:

نوع العلم/المعرفة	وصف موجز	مظاهره في القصة	الآيات القرآنية أو الإشارات النصية الدالة
علم الجغرافيا	دراية واسعة بتقسيمات الأرض، مسالكها، أوديتها، جبالها، وسهولها.	تحركه بجيوشه بفعالية عبر مسافات شاسعة شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا.	{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} [الكهف: 86]، {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} [الكهف: 90]، {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} [الكهف: 93]
علم اللغات	القدرة على فهم لغات الأقوام المختلفة والتواصل معهم.	فقهه لغة القوم الذين "لا يكادون يفقهون قولًا" عند السدين، ومخاطبته الشعوب بلسانهم.	{وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} [الكهف: 93]
العلوم الهندسية والمادية	خبرة ومعرفة عميقة بخصائص المواد (الحديد، النحاس) وتقنيات صهرها وصبها.	بناء السد المنيع باستخدام زبر الحديد والقطر (النحاس المذاب) بتقنيات متقدمة.	{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} [الكهف: 96]
علم السياسة	تطبيق منهج عادل للثواب	سياسته في التعامل مع الأقوام عند	{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ

الشرعية	والعقـــــاب وإدارة شـــؤون الـــدول والشعوب بحكمة.	مغـرب الشـمس (التعـذيب للظالم والإحسان للمؤمن).	فِيهِمْ حُسْنًا} [الكهف: 86]، {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ... وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى} [الكهف: 87-88]

المبحث الثالث : الصفات الشخصية القيادية لذي القرنين و أثرها في التمكين

أولاً: التواضع ورد الفضل إلى الله

يُعد التواضع ورد الفضل إلى الله من أبرز الصفات التي تميز بها ذو القرنين، والتي كان لها أثر عميق في استمرار تمكينه وثبات النعمة عليه، وقد تجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى:" وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي"[الكهف: 82]، وقوله "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي..." [الكهف: 98]، فبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد العظيم، وهو إنجاز هندسي وأمني ضخم، لم ينسب الفضل إلى قوته أو حكمته، بل أضاف النعمة إلى موليها، معترفًا بأن هذا العمل العظيم هو من فضل الله وإحسانه عليه[72].

هذه الحالة هي حال الخلفاء الصالحين والأنبياء، الذين إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله، كما هو الحال مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: 40]، إن تكرار كلمة "ربي" أربع مرات على لسان ذي القرنين في قصته القرآنية(﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[الكهف: 95]، ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾[الكهف: 98]، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾[الكهف: 98]، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾]الكهف: 98])، يعكس عبوديته التامة لله وافتقاره إليه، وإقراره بأنه وحده مربيه والمنعم عليه والذي منحه تلك المنزلة الرفيعة والتمكين، وهذا التكرار ليس مجرد مصادفة لغوية، بل هو تعبير عميق عن تواضعه ولغته التي يتعامل بها، وحقيقة واقعه الذي يرى فيه كل إنجاز هو منحة إلهية.

[72] ينظر: الشعراوي. **تفسير الشعراوي (الخواطر)**. (14/ 8974)

إن القائد المتواضع هو الذي يرد الفضل إلى الله ليربط قلوب الناس به، مستغلاً لحظات النجاح في تعبيد الخلق للخالق، وهذه هي الغاية العليا للتفوق والنجاح والريادة، فمهما ارتفع العبد في مراتب العلم والمجد والمكانة، فإنه لا يخرج عن دائرة العبودية والافتقار إلى الله، ولا تكون هذه المراتب إلا بتوفيق الله وعونه ورحمته، هذا التواضع يختلف جوهريًا عن سلوك القائد المتكبر الذي يعتمد على قوته وذكائه فقط، في حين أن المفوض الإلهي المتواضع يرى نفسه وسيلة لتحقيق إرادة الله، مما يجلب له البركة والتأييد الإلهي، هذا التمييز بين القائد المتواضع الذي يُفوَّض إلهيًا والقائد المتكبر يكمن في مصدر القوة والولاء الأسمى، تواضع الأول يضمن استدامة التمكين من خلال الحفاظ على العناية الإلهية وتعزيز الولاء الحقيقي من الشعب، الذي يرى يد الله في نجاح قائده، بدلاً من مجرد الطموح البشري و" القائد المتواضع هو الذي يعيش ليحقق أهداف الجماعة والمصلحة العامة بدافع الواجب والذي ينجح ليحقق هدفاً جماعياً ليس كفرد ينجح ليحقق هدفاً فردياً فالأول يكتسب بحبه للآخرين وولاءهم والآخر ينتظر الآخرون فشله بتلهف"[73].

ثانياً: الحِكمة في اتخاذ القرار

تجلت (حكمة ذي القرنين ورشده)[74] في قدرته على التمييز بين الظالم والمصلح، وفي حزمه في تطبيق العدل، مما يعكس فهمًا عميقًا لموازين القوة والعدالة، عندما وصل ذو القرنين إلى قوم يعانون من إفساد يأجوج ومأجوج، وصفه الناس بأنهم "مفسدون في الأرض"، وطلبوا منه أن يجعل بينهم وبينهم سداً، وقد اختلف أهل التأويل في معنى هذا الإفساد، فبعضهم قال إنهم كانوا يأكلون الناس، مما يبرز خطورة المشكلة التي واجهها ذو القرنين وحاجته للحكمة في التعامل معها.

لم يتخذ ذو القرنين قرار بناء السد إلا بعد استماع شكوى المتضررين وتقدير حجم الإفساد، ثم طلب المساعدة منهم، مما يدل على حكمته في تقييم الوضع وجمع الموارد اللازمة[75]، وهذه الحكمة ليست مجرد قدرة فكرية، بل هي حكمة عملية تتجلى في قدرته على تمييز التهديدات المجتمعية (إفساد يأجوج

---

[73] مجموعة من المؤلفين. **مجلة البيان**. تصدر عن المنتدى الإسلامي. (العدد67/ 39).

[74] ينظر: سعيد بن منصور. **سنن سعيد بن منصور – تكملة التفسير**. تحقيق: فريق من الباحثين، بإشراف سعد بن عبد الله الحميد وخالد بن عبد الرحمن الجريسي. طبعة: 1، سنة: 1433هـ. الرياض: دار الألوكة للنشر. (6/ 197)

[75] ينظر: مجمع البحوث الإسلامية. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. إعداد: لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. مراجعة: مصطفى محمد الحديدي الطير. طبعة: 1، سنة: 1393–1414هـ. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. (6/ 923)

ومأجوج) وتطبيق حلول حاسمة، ولكنها تعاونية في نفس الوقت، وهذا يسلط الضوء على نموذج قيادي تُخدم فيه العدالة من خلال عمل حازم، ولكن فقط بعد تقييم دقيق وتفاعل مع السكان المتضررين.

إن حكمة ذي القرنين لم تنفصل عن الرحمة والعقوبة، بل جمعت بينهما في منهج متوازن، ففي تعامله مع الأقوام التي واجهها، ميز ذو القرنين بوضوح بين الظالم والمحسن، فقال: "أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً" [الكهف: 87]، وهذا يوضح أن حكمته كانت مبنية على العدل الذي يجمع بين (العقوبة للظالم)[76] (والرحمة للمحسن)[77]، وهذا المنهج يرسخ مبدأ العدالة الإلهية في الحكم، حيث لا يُعاقب إلا من يستحق العقاب، ويُكافأ من يستحق المكافأة، وهو ما يعكس حكمة القائد المستنير في تطبيق الشريعة الإلهية، وقيادة ذي القرنين تقدم نموذجًا لنهج شامل للعدالة، حيث تملي الحكمة تطبيقًا متوازنًا للرحمة والعقوبة، وهذا يمنع الحكم التعسفي ويضمن أن تخدم الحوكمة الصالح العام من خلال تحفيز الصلاح وردع التجاوز، مما يعزز الاستقرار والرفاهية المجتمعية على المدى الطويل.

وقد قيل فيه شعرًا يوصف ما تقدم:

"قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خُلُبٍ وثاطٍ حرمد"[78]

[76] ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. **التيجان في ملوك حمير**. تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. طبعة: 1، سنة: 1347هـ صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. (ص98)

[77] ينظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**. تحقيق: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم. طبعة: 1، سنة: 1434هـ دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. (9/ 541)

[78] ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**. (3/ 339)

ثالثاً: الشفافية مع الرعية والتواصل مع الشعوب

اتسمت قيادة ذي القرنين بالشفافية العالية والتواصل الفعال مع الشعوب التي حكمها أو مر بها، مما عزز ثقة الناس به وشاركهم في تحمل المسؤوليات، وعندما وصل ذو القرنين إلى القوم الذين يعانون من يأجوج ومأجوج، لم يفرض عليهم حلاً جاهزًا، بل استمع إلى شكواهم ورغبتهم في بناء سد[79]، حيث قالوا: "فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا" [الكهف: 94]، وهذا يدل على أسلوب تشاركي في القيادة، حيث يُعطى صوت للرعية في تحديد المشكلات واقتراح الحلول.

ولم يكتفِ بالاستماع، بل طلب منهم المساعدة والقوة وليس المال، قائلاً: "فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً"، وهذا يؤكد على أسلوب تواصلي يشرك الرعية في الحل ويطلب منهم المساهمة الفاعلة بأيديهم وقوتهم[80]، مما يعمق شعورهم بالمسؤولية المشتركة، وهذه الممارسات القيادية تظهر شكلاً استباقيًا من الشفافية والمشاركة، ولم يكتفِ ذو القرنين بإبلاغ الناس، بل سعى بنشاط للحصول على مدخلاتهم وتعاونهم من المجتمعات المتضررة، مما عزز الشعور بالمسؤولية المشتركة والملكية في المشاريع الجماعية، وهذا النهج التشاركي يعزز الشرعية ويضمن أن الحلول مصممة لتلبية الاحتياجات المحلية.

رابعاً: عدم استغلال المنصب لتحقيق مكاسب شخصية

من أبرز مظاهر النزاهة الإدارية لدى ذي القرنين هو رفضه القاطع لاستغلال منصبه لتحقيق مكاسب شخصية، وعندما عرض عليه القوم "خرجاً" (أجراً عظيماً أو مالاً) مقابل بناء السد، رفض ذو القرنين ذلك قائلاً: "ما مكني فيه ربي خير"، وهذا يعني أن ما منحه الله من قوة وتمكين وسلطان خير وأفضل من أي مال يمكن أن يجمعه من الناس[81].

---

[79] ينظر: الكيلاني، ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية.** طبعة: 1، سنة: غير مذكورة (يرجح قبل 1431هـ). دمشق: دار القلم. (ص545)

[80] ينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد. **التفسير البسيط.** إعداد: لجنة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. طبعة: 1، سنة: 1430هـ. الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (17/ 226)

[81] ينظر: عقيل بن عطية القضاعي. **تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل.** تحقيق: مصطفى باحو. طبعة: 1، سنة: 1427هـ. أبو ظبي: دار الإمام مالك. (2/ 620)

هذا الرفض ليس مجرد زهد شخصي، بل هو إعلان صريح عن نزاهته وعدم سعيه للمكاسب الشخصية من خلال منصبه، بل كان هدفه الأسمى هو إقامة دين الله والتمكين له في الأرض، وحماية المستضعفين[82]، وإن إعلان ذي القرنين هذا يؤكد التزامه العميق بالخدمة العامة والنزاهة. فقوله "ما مكني فيه ربي خير" يكشف أن مكافأته الحقيقية هي العناية الإلهية والقدرة على إنجاز مهمته التي كلفه بها الله، مما يضع سابقة قوية ضد الفساد والإثراء الذاتي في القيادة.

ملخص المبحث الثالث:

الصفة القيادية	الآية القرآنية الدالة	الشرح الموجز (من التفاسير)
التواضع ورد الفضل لله	"قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي..." [الكهف: 98]	إرجاع النعمة والتمكين إلى فضل ا وإحسانه، وتكرار كلمة "ربي" خمس مرات.
الحكمة في اتخاذ القرار	"أما من ظلم فسوف نعذبه... وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى" [الكهف: 87]	التمييز بين الظالم والمصلح وتطبي العدل بحزم ورحمة.
الشفافية والتواصل	"فهل نجعل لك خرجا... فأعينوني بقوة" [الكهف: 94-95]	استشارة الناس، الاستماع لمطالبه وطلب المشاركة الفاعلة منهم.
النزاهة وعدم استغلال المنصب	"ما مكني فيه ربي خير" [الكهف: 95]	رفض المال (الخرج) المعروض علي وتقديم الصالح العام على المكاس الشخصية.

[82] ينظر: غريب، محمود محمد. **المال في القرآن.** طبعة: 1، سنة: 1396هـ بغداد. (ص65)

المبحث الرابع :البنية الجغرافية والجيواستراتيجية للتمكين

لم يقتصر تمكين ذي القرنين على الجانب الأخلاقي والإداري، بل امتد ليشمل أبعادًا جغرافية وجيواستراتيجية واسعة، عكست قدرته على إدارة الموارد والتخطيط للأمن على نطاق عالمي.

أولاً: التمكين الجغرافي وتوسع النفوذ

تُظهر الآيات القرآنية المتعلقة بذي القرنين اتساع نفوذه وتمكينه الجغرافي بشكل لافت، حيث بلغ أقصى مشارق الأرض ومغاربها، فقوله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس... ثم أتبع سببًا... حتى إذا بلغ مطلع الشمس..." [الكهف: 86-90] يشير إلى رحلاته الواسعة التي غطت أطراف المعمورة[83]. وقد فُسّر "آتيناه من كل شيء سبباً" بأنه أعطي علماً يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الأرض[84]، أو أن أقطار الأرض قُربت إليه، مما سهل عليه السير فيها والتنقل بين مناطقها الشاسعة، وقد قيل في سبب تسميته بذي القرنين أنه بلغ قرني المغرب والمشرق[85]، أو لأنه رأى في أول ملكه كأنه قابض على قرني الشمس[86]، وهذا يرمز إلى اتساع سلطانه.

إن حركة ذي القرنين الواسعة ليست مجرد وصف لرحلاته، بل هي دلالة على تمكين جغرافي ميسر إلهيًا، وهذا يعني أن نطاق وصوله لم يكن عشوائيًا، بل كان توسعًا مقصودًا للنفوذ، مما مكنه من مقابلة شعوب متنوعة وإقامة العدل عبر مناطق شاسعة[87]، وبالتالي تجسيد دور قيادي عالمي، وإن التمكين الجغرافي في الفكر الحضاري الإسلامي لا يقتصر على مجرد السيطرة على الأراضي، بل يشمل نشر العدل وإقامة الدين وإصلاح أحوال الناس في تلك المناطق، فحركة ذي القرنين الواسعة كانت تهدف

---

83 ينظر: طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. طبعة: 1، سنة: 1418هـ. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. (8/ 571)

84 ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. طبعة: 1، سنة: 1408هـ. بيروت: عالم الكتب. (3/ 308)

85 ينظر: مقاتل بن سليمان. **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: عبد الله محمود شحاتة. طبعة: 1، سنة: 1423هـ. بيروت: دار إحياء التراث. (2/ 599)

86 ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. طبعة: 2، سنة: 1384هـ. القاهرة: دار الكتب المصرية. (11/ 47)

87 ينظر: العودة، سليمان بن حمد. **شعاع من المحراب**. طبعة: 2، سنة: 1434هـ. الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع. (2/ 120)

إلى إقامة دين الله تعالى والتمكين له في كل مكان يبلغه، وليس لتحقيق ذاته أو شهواته أو مجرد توسيع ملكه، هذا الربط بين التوسع الجغرافي والغاية السامية لنشر العدل والخير يمثل نموذجًا للتوسع الحضاري المتجذر في المبادئ الإسلامية، مما يميزه عن الغزوات الإمبراطورية التي تحركها الأطماع المادية.

ثانياً: علاقة السدّ بالجغرافيا السياسية

تُعد إقامة الردم بين السدين من أبرز الدلائل على البعد الجيوسياسي في قيادة ذي القرنين، فقد أقام هذا الردم بين السدين (الجبلين) كحاجز منيع لمنع يأجوج ومأجوج المفسدين من الخروج إلى الناس وإفساد الأرض[88]، وقد كان هذا السد منيعاً لدرجة أن يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا أن يعلوه (يظهروه) أو ينقبوه من أسفله[89]، مما يؤكد على متانته وفعاليته كتحصين استراتيجي، وإن هذا السد ليس مجرد بناء هندسي عظيم، بل هو تحصين استراتيجي يوفر الأمن والحماية للشعوب الضعيفة من تهديد خارجي مستمر، مما يدل على فهم ذي القرنين العميق للأمن الإقليمي والاستقرار طويل الأمد.

يمكن رؤية السد الذي بناه ذو القرنين كنموذج مبكر لمفاهيم "الحدود الآمنة" و"التحصينات الدفاعية" الحديثة، حيث يهدف إلى حماية السكان والموارد من التهديدات الخارجية، وإن السد يمثل سابقة تاريخية للمفاهيم الحديثة لأمن الحدود والتحصينات الدفاعية، ويوضح أن البنية التحتية الاستراتيجية، عند تنفيذها برؤية مستقبلية وفهم واضح للتهديدات، يمكن أن تحمي المصالح الوطنية والسكان بفعالية، وهو مبدأ لا يزال ذا صلة في الجغرافيا السياسية المعاصرة.

ولكي ندرك مدى ما وصل إليه ذو القرنين من العلم بطرائق الصناعة وخصائص المعادن، والافادة من ذلك، نرى العلم قد توصل في عصرنا إلى أنّ خير طريقة لتقوية الحديد هي إضافة نسبة من النحاس إليه وأن ذلك يزيده مقاومة وصلابة[90].

---

[88] ينظر: السلمان، عبد العزيز بن محمد. **موارد الظمآن لدروس الزمان.** طبعة: 30، سنة: 1424هـ طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير، الموكل عنهم: إبراهيم بن علي العودة. (6/ 547)

[89] ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير.** سنة: 1285هـ القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية). (2/ 406)

[90] الشهري، أحمد بن حمدان بن محمد. **عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين.** نُشر من وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات نشر، سنة: قبل 1431هـ (ص157)

ملخص المبحث الرابع:

البعد الجيواستراتيجي	الآية القرآنية الدالة	الشرح الموجز (من التفاسير)	أوجه الشبه بالمفاهيم الحديثة
توسع النفوذ الجغرافي	"حتى إذا بلغ مغرب الشمس... ثم أتبع سبباً... حتى إذا بلغ مطلع الشمس" [الكهف: 86-90]	تمكينه من الوصول إلى أقصى بقاع الأرض لنشر العدل وإقامة الدين.	توسع النفوذ الحضاري، بناء شبكات التأثير الدولي.
التحصين الدفاعي	"فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً... فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً" [الكهف: 94-97]	بناء حاجز منيع ضد المفسدين (يأجوج ومأجوج) لحماية الشعوب.	الحدود الآمنة، التحصينات الدفاعية، الأمن القومي.
إدارة التهديدات الأمنية	"إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض" [الكهف: 94]	تحديد التهديدات الخارجية والتعامل معها بفعالية لحفظ الأمن والاستقرار.	مكافحة الإرهاب، إدارة الصراعات الإقليمية.

خاتمة ونتائج البحث

1. **قصة ذي القرنين في سورة الكهف نموذج قرآني متكامل للتمكين الحضاري**، جمعت بين الأبعاد الدينية، والسياسية، والعمرانية، والاجتماعية، وقدّمها القرآن في قالب قصصي موجز لكنه غني بالدلالات.
2. **التمكين في الأرض لا يكون إلا بتكامل أدوات عديدة**، أبرزها:

- **الأخذ بالأسباب** العلمية والعملية.
- **تحقيق العدل** في الحكم والمجتمع.
- **استثمار الموارد الطبيعية** بحكمة.
- **استثمار القوة البشرية** وتوجيهها.
- **العمل والإنتاج** لا الاتكال والتواكل.
- **الاعتماد على الله** مع بذل الجهد.

3. **ذو القرنين اتسم بجملة من الصفات القيادية المؤثرة**، كان لها أثرٌ مباشر في استدامة التمكين، ومن أبرزها:

- **التواضع ورد الفضل إلى الله**، وهو ما دلّت عليه عباراته المتكررة: "هذا من فضل ربي"، "ما مكني فيه ربي خير."
- **الحكمة في اتخاذ القرار**، إذ تعامل مع كل قوم بما يناسب حالهم، فجمع بين الحزم والرحمة.
- **الشفافية والتواصل مع الشعوب**، حيث استمع إليهم، وأشركهم في الحل، ورفض استغلال موقعه لأخذ أجرٍ أو "خَرج."
- **النزاهة ونظافة اليد**، حيث رفض المال مقابل المعونة، وعدّ ما آتاه الله خيرًا له.

4. **البنية الجغرافية لخط سير ذي القرنين** تُشير إلى تمكين جغرافي واسع، بلغ فيه مشارق الأرض ومغاربها، ومواقع استراتيجية في الشمال والجنوب، وهذا يؤكّد عمق التخطيط وسعة الانتشار.

5. **بناء السدّ بين يأجوج ومأجوج والأقوام المستضعفين يعكس بعدًا جيواستراتيجيًا رفيعًا**، إذ مثّل السد تحصينًا دفاعيًا لحماية الأمن الداخلي من الأخطار الخارجية، وهو ما يتفق مع مفاهيم التحصين الحدودي المعاصر.

6. **سورة الكهف، من خلال قصة ذي القرنين، تربط التمكين بالإيمان بالله والتوحيد**، وهو ما أكّده ذو القرنين حين قال: "هذا رحمة من ربي"، فحقيقة التمكين تبدأ من العقيدة وتنتهي بعمارة الأرض وفق منهج الله.

7. **القرآن استخدم أسلوب الإيجاز والرمزية في عرض القصة**، ليركز على المعاني الحضارية الكبرى، ويترك مساحة للاجتهادات التأملية، دون الوقوف عند التفصيلات التاريخية غير المؤثرة.

فهرس المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم**
2. البغوي، الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**. تحقيق: محمد النمر. طبعة:4، سنة: 1417هـ. دار طيبة.
3. البقاعي، إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية.
4. البيضاوي. **تفسير البيضاوي**. بيروت: دار الفكر.
5. الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد شاكر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
6. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. **مجموع الفتاوى**. تحقيق: أنور باز وآخرون. طبعة:3، سنة: 1423هـ. دار الوفاء.
7. جامعة المدينة العالمية. **التفسير الموضوعي 2**. طبعة جامعية، قبل 1433هـ.
8. الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. طبعة:1، سنة: 1405هـ. بيروت: دار الكتاب العربي.
9. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. طبعة:5، سنة: 1424هـ. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
10. ابن جزي، محمد بن أحمد. **التسهيل لعلوم التنزيل**. تحقيق: عبد الله الخالدي. طبعة: 1، سنة: 1416هـ. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

11. الحاكم، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر. طبعة:1، سنة: 1411هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

12. ابن حنبل، أحمد. **مسند الإمام أحمد**. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

13. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد. **السراج المنير**. سنة: 1285هـ. القاهرة: مطبعة بولاق.

14. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. **سنن الدارمي**. تحقيق: فواز أحمد وآخرون. طبعة:1، سنة: 1407هـ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

15. رضا، محمد رشيد. **الوحي المحمدي**. طبعة: 1، سنة: 1426هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

16. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. طبعة: 1، سنة: 1408هـ. بيروت: عالم الكتب.

17. الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. طبعة: 3، سنة: 1407هـ. القاهرة – بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي.

18. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن معلا. طبعة:1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة.

19. سعيد بن منصور. **سنن سعيد بن منصور – تكملة التفسير**. تحقيق: باحثون، إشراف: الجريسي والحميد. طبعة: 1، سنة: 1433هـ. الرياض: دار الألوكة.

20. السلمان، عبد العزيز بن محمد. **موارد الظمآن لدروس الزمان**. طبعة: 30، سنة: 1424هـ.

21. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر.

22. الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي (الخواطر)**. مطابع أخبار اليوم، 1418هـ (1997م).

23. الشهري، أحمد بن حمدان بن محمد. **عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين**. وزارة الأوقاف السعودية، قبل 1431هـ.

24. الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان**. تحقيق: أحمد شاكر. طبعة:1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة.

25. طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. طبعة: 1، سنة: 1418هـ. القاهرة: دار نهضة مصر.

26. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**. تحقيق: جائزة دبي للقرآن. طبعة: 1، سنة: 1434هـ.

27. ابن عادل، عمر بن علي. **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: أحمد عادل عبد الموجود وآخرون. طبعة: 1، سنة: 1419هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

28. عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، سنة: 1404هـ ابن

29. ابن عجيبة، أحمد بن محمد المهدي. **البحر المديد**. طبعة:2، سنة: 1423هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

30. عقيل بن عطية القضاعي. **تحرير المقال في موازنة الأعمال...** تحقيق: مصطفى باحو. طبعة: 1، سنة: 1427هـ أبو ظبي: دار الإمام مالك.

31. العودة، سليمان بن حمد. **شعاع من المحراب**. طبعة: 2، سنة: 1434هـ الرياض: دار المغني.

32. غريب، محمود محمد. **المال في القرآن**. طبعة: 1، سنة: 1396هـ بغداد.

33. القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. تحقيق: ميستو وآخرون. طبعة: 1، سنة: 1417هـ دمشق – بيروت: دار ابن كثير.

34. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: البردوني وأطفيش. طبعة: 2، سنة: 1384هـ القاهرة: دار الكتب المصرية.

35. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. طبعة: 2، سنة: 1420هـ الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

36. الكرجي القصاب، محمد بن علي. **نكت القرآن الدالة على البيان**. تحقيق: التويجري وآخرون. طبعة: 1، سنة: 1424هـ دار ابن القيم.

37. الكيلاني، ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية**. طبعة: 1، قبل 1431هـ دمشق: دار القلم.

38. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. **النكت والعيون**. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية.

39. مجمع البحوث الإسلامية. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. إشراف: الأزهر. طبعة: 1، سنة: 1393–1414هـ القاهرة.

40. مجموعة من المؤلفين. **مجلة البيان**. تصدر عن المنتدى الإسلامي.

41. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري. **صحيح مسلم**.

42. مسلم، مصطفى. **مباحث في التفسير الموضوعي**. طبعة: 4، سنة: 1426هـ دمشق: دار القلم.

43. مقاتل بن سليمان. **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: عبد الله شحاتة. طبعة: 1، سنة: 1423هـ بيروت.

44. ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. طبعة:1. بيروت: دار صادر.

45. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. **تفسير حدائق الروح والريحان**. إشراف: هاشم بن حسين مهدي. طبعة: 1، سنة: 1421هـ بيروت.

46. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. **التيجان في ملوك حمير**. تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. طبعة: 1، سنة: 1347هـ صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

47. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد. **التفسير البسيط**. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. طبعة: 1، سنة: 1430هـ